

مقومات النهوض الحضاري في فكر الشيخ الغزالي

ورقة بحثية مقدمة إلى الندوة العلمية الوطنية

"حول الذكرى المئوية لميلاد الشيخ محمد الغزالي والذكرى 22 لوفاته"

المنعقدة يوم 12 مارس 2018م

بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/قسنطينة

إعداد :

د. سعيدة بوفاغس best96762@gmail.com

أستاذ محاضر "قسم أ" — قسم الفقه وأصوله/كلية الشريعة والاقتصاد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية — قسنطينة —

هاتف : 0773289343

الملخص:

لقد شهد العالم الإسلامي — على امتداد تاريخه — حركات إصلاحية تدعو إلى تجديد الدين وإحيائه في واقع الناس، استجابةً لأمر الله الذي قضى بخلود هذه الأمة لما جعلها وارثةً لخاتمة الرسالات وتولى حفظ وحيه المتزل عليها فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر/9)، ولقد كان للجزائر نصيبها الوافر من جهود هؤلاء الأعلام المصلحين الذين كان لهم الفضل الأوفر في تنوير الأفكار وشحذ الهمم، والتصدي لمحاولات طمس الهوية الإسلامية.

وتتوجه هذه الورقة العلمية إلى تناول شخصية أحد هؤلاء العلماء الأفاضل الذين عملوا على إصلاح الواقع الإسلامي والعربي عن طريق العودة بالإسلام إلى عهد الصحابة في عقائده وأصوله وفروعه، راسماً مقومات النهضة التي قد تخرج الأمة من دائرة التخلف التي باتت تقبض فيها ردها من الزمن، وهو معنى مشترك بين جميع المصلحين الذين واجهوا — في عملهم الإصلاحي — واقعاً فاسداً من الناحية العقائدية والأخلاقية والسياسية، فتقاسموا همّ معالجة أوضاع الأمة ضمن منهج اتفقت فيه الغايات واختلفت فيه الوسائل.

وقد تميّز فكر الشيخ "محمد الغزالي" بحمله في طبيّاته مشروعاً فكرياً يؤسس لنهوض حضاري مأمول تحقيقه على أرض الواقع، وهو ما يحاول أن يحصره هذا البحث المتواضع الذي يتمحور موضوعه حول شخصية الشيخ "محمد الغزالي" من خلال توضيح بعض معالم حياته الشخصية والعلمية والفكرية؛ إذ إن الباحث في حاجة ماسة إلى خلاصة موجزة وفكرة ناضجة من عالم محقق ومفكر مدقق استوعب الفنون وفهمه، يستطيع أن يطمئن إليه وإلى قوله، ومن ثمّ التأسّي والاقتراء به — من أجل التأسيس لواقع أفضل يعود بالمسلمين إلى مركز الريادة — وهذا ما وهبه الله للشيخ "الغزالي" الذي أطبقت الآفاق على غزارة علمه وجدارة مؤلفاته بالدراسة والاهتمام، ومكانه في تاريخ الأمة التي شهدت غزواً استعماريّاً غاشماً ما تزال آثاره حتى الآن تتفاعل بها المجتمعات الإسلامية والعربية المعاصرة... ولأجل ذلك سيحاول البحث الإجابة — في إشكاليته الرئيسية — على التساؤلات التالية :

— من هو الشيخ "محمد الغزالي"؟

— ما هي مميزات حياته الشخصية؟

— ما معالم حياته العلمية؟

— ما هي مقومات النهوض الحضاري في مشروعه الفكري؟

لعل الإجابة عن هذه الأسئلة تنتظم فيما يأتي بيانه من محاور:

— مقدمة.

— أولاً: معالم حياته الشخصية.

— ثانياً: حياته العلمية.

— ثالثاً: مرتكزات النهوض الحضاري في فكر الشيخ "الغزالي".

— الخاتمة.

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الذين خلفوه في صيانة شريعته ونشر نوره والدعوة إليه .

إنَّ صفحات كتب التاريخ الإسلامي تغصُّ بذكر الكثير من الأسماء الأعلام الذين شاركوا في صنع حضارة إسلامية عريقة مسَّت كل جوانب حياة الإنسان في عباداته ومعاملاته، وفي جميع شؤونه الفردية والجماعية .

ومن هؤلاء الذين سجل التاريخ فضلهم العلامة الشيخ "محمد الغزالي" الذي كان من أعمق المصلحين إيماناً، وأصلبهم جهاداً، وأمضاهم قلماً، وأشرقهم أسلوباً، وقد انبثق كالبدر في حالك الظلام فعرف في وقته بمواقفه العلمية الشجاعة التي أثارت عليه حفاظ الجامدين والمقلدين فقام بدور عظيم في بعث الهمم وإنقاذ الإيمان، ومقاومة الغزو الفكري بعرض حقائق الإسلام، داعياً إلى الأخوة والمحبة، فاستنارت بفكره العقول، وصفت بدعوته القلوب، واطمأنت بروحانيته النفوس، وهو ما سيتم الوقوف عليه فيما يلي:

أولاً — معالم حياته الشخصية:

إن الباحث — وهو يتصفح تراجم العلماء و المفكرين — يجد نفسه بحاجة إلى تفاصيل دقيقة تبين مراحل حياة الشخصية المدروسة، وتحدد ملامحها وعوامل تكوينها، الشيء الذي يمكن من تحليل دقيق لمنهج هذه الشخصية العلمية، وتعليل أصوب وأقرب إلى الواقع، ولذلك سيتم التركيز على حياة الشيخ "الغزالي" الشخصية والعلمية، بالقدر الذي يفصح عن جمعه بين العلم النافع والعمل الصالح؛ ضمن الآتي:

1 — اسمه ونسبه، مولده ووفاته⁽¹⁾:

ولد الشيخ "محمد الغزالي" "أحمد السقا الجبيلي" نقوية "نكلا العنب" في 05/ذو الحجة/1335هـ الموافق ليوم 1917/09/22م، حيث كانت القرية التي ولد فيها تابعة إدارياً لمركز "إيتاي البارود" محافظة "البحيرة" — إحدى المحافظات الكبرى بالوجه البحري من جمهورية مصر العربية —، وهذه القرية لها تاريخ طيب، فمنها أيضاً خرج المجاهد الشاعر محمود سامي البارودي، كما أن منطقة "إيتاي البارود" تخرّج منها عدد من الرجال المخلصين كسليم البشري والشيخ محمد عبده والشيخ حسن البنا.

نشأ الشيخ رحمه الله في أسرة كريمة مؤمنة ملتزمة بتعاليم الإسلام، يغلب عليها العمل بالتجارة، وكان والده من حفظة القرآن الكريم، كما كان له خمس من الإخوة، وقد سمّاه والده بـ"محمد الغزالي" تيمناً بالعالم الكبير أبو حامد الغزالي المتوفى في جمادى الآخرة 505 هـ.

وقد توفي الشيخ "الغزالي" رحمه الله يوم السبت 20 شوال 1416هـ الموافق ليوم 09 مارس 1996م في الرياض بالمملكة العربية السعودية، أثناء مشاركته في مؤتمر حول "الإسلام وتحديات العصر" الذي نظمه الحرس الوطني في فعالياته الثقافية السنوية المعروفة بـ "المهرجان الوطني للتراث والثقافة — الجنادرية"، حيث دفن رحمه الله — بمقبرة البقيع بالمدينة المنورة، وكان قد صرح قبله بأمنيته أن يدفن هناك.

2 — أخلاقه وعنايته بالعلم النافع:

إن ما تميز به الشيخ "الغزالي" من علم وأخلاق طيبة وشمائل محمودة لا يختلف كثيراً عما

⁽¹⁾ ينظر: عبد الحليم عويس، حياة مجاهد عظيم، ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالي حياة وآثار، دط، دار الأمة، الجزائر، دت، ص22، محمد الغزالي، قصة حياة، مجلة إسلامية المعرفة، ماليزيا، عدد 07، السنة الثانية، يناير 1997م، ص157، 166، 167، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ترجمة الشيخ "محمد الغزالي" على شبكة الانترنت، <https://ar.wikipedia.org/wiki>، شبكة الشفاء الإسلامية، سيرة حياة الإمام الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، <http://www.ashefaa.com>، موقع قناة الجزيرة، محمد الغزالي.. عالم مجدد ناهض الاستبداد والجهل، <http://www.aljazeera.net>.

تحلى به علماء سلفنا الصالح من جمع بين العلم النافع والعمل الصالح، وهو ما وقف عليه كل من جالسه أو تتلمذ على يديه، فقد كان — رحمه الله — يجهد بالبكاء عندما يذكر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتظهر الحرقه على محيائه أماً على ما آل إليه حال الأمة الإسلامية من تخلف وتشتتٍ وهيارٍ للقيم⁽¹⁾.

كما كان للشيخ "الغزالي" رحمه الله في العلم النصيب الأوفر تعلماً وعملاً وتعليماً له ودعوةً إليه، ويدل عليه تلاميذه الذين خلفوه في مهمة التعليم والإصلاح، ناهيك عن مؤلفاته العلمية التي تغني عن كل بيان.

ثانياً — حياته العلمية:

تنتظم دراسة حياة الشيخ "محمد الغزالي" العلمية في ذكر طلبه للعلم وشيوخه فيه؛ ضمن التفصيل الآتي:

1 — طلبه للعلم وشيوخه فيه⁽²⁾:

كانت بداية دراسة الشيخ "الغزالي" بالكتاب وهو ابن خمس سنين، فاستظهر القرآن في أقصر مدة، ثم تلقى تعليمه الابتدائي بالمعهد الأزهرى الدينى بالإسكندرية، حتى التحق بكلية

(1) وقد وقفت شخصياً على غزارة علمه ودماثة أخلاقه من خلال حضور محاضراته، أو مشاهدة حلقات "حديث الاثنين" التي كان يبثها التلفزيون الجزائري، وغيره من القنوات التي ظهر فيها الشيخ "الغزالي" كثيراً، حيث أحبه المشاهدون في كل الأقطار الإسلامية والعربية، وكانوا يترقبون دروسه بشغف كبير.

(2) ينظر: عبد الحليم عويس، حياة مجاهد عظيم، ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالي حياة وآثار، دط، دار الأمة، الجزائر، دت، ص22، محمد الغزالي، قصة حياة، مجلة إسلامية المعرفة، ماليزيا، عدد 07، السنة الثانية، يناير 1997م، ص157، 166، 167، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ترجمة الشيخ "محمد الغزالي" على شبكة الانترنت، <https://ar.wikipedia.org/wiki>، شبكة الشفاء الإسلامية، سيرة حياة الإمام الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، <http://www.ashefaa.com>، موقع قناة الجزيرة، محمد الغزالي.. عالم مجدد ناهض الاستبداد والجهل، <http://www.aljazeera.net>.

أصول الدين بجامعة الأزهر سنة 1938م، وقد تضمنت مناهج الكلية إلى جانب العلوم التقليدية دراسة موسّعة للفلسفة في شتى العصور وتوسّعاً آخر في علم النفس والأخلاق.

وقد تأثر أثناء مسيرته التعليمية بعدد من أساتذته الذين تتلمذ على أيديهم من أمثال: عبد العظيم الزرقاني، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور محمد يوسف موسى، وإبراهيم الغرباوي، وعبد العزيز بلال، ومحمد أحمد القمراوي، وأمين الخولي، وعبد الوهاب خلاف، وغيرهم من علماء الأزهر الشريف الذين تركوا أثراً واضحاً في شخصيته العلمية التي تجسدت فيما خلفه من تراث علمي فكري مكتوب، وفيما يلي سنحاول إمطة اللثام عن جانب من آثار الشيخ "الغزالي" بذكر أسماء بعض تلاميذه، وحصر مؤلفاته؛ ضمن الآتي:

2 — تلاميذه:

اشتغل الشيخ الغزالي إماماً بأحد مساجد القاهرة، ثم مفتشاً لمساجد القاهرة، وتنقل بين كثير من الدول العربية مدرّساً؛ في: قطر، والسودان، والمغرب، والمملكة العربية السعودية، والجزائر (التي مكث بها خمس سنوات تقريباً حيث غادرها سنة 1989م، مما لا يدع مجالاً للشك في كثرة تلاميذه، فقد تخرج على يديه عدد لا يحصى من طلبة العلم من جميع أقطار العالم الإسلامي وغيره، وقد صاروا فيما بعد علماء أجلاء ودعاة كباراً طبقت شهرتهم الآفاق، ومن هؤلاء الشيخ يوسف القرضاوي، الشيخ مناع القطان، والدكتور أحمد العسال.. وغيرهم، وإنه من المتعذر الإحاطة بذكر أسماء كل من تلقى العلم على يديه⁽¹⁾.

لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الشيخ "محمد الغزالي" كان عالماً محققاً وباحثاً منصفاً، طوف في العلوم النقلية والعقلية مفسراً محدثاً، فقيهاً وأصولياً ومجتهداً، ولذلك فقد أثنى عليه كل من عرفه من شيوخه أو تلاميذه، وقد حرّر أ.د. يوسف القرضاوي في سيرته كتابه الموسوم

⁽¹⁾ غني عن البيان بأن الملتقى الذين نشرف جميعنا بالمشاركة فيه هو في الحقيقة من تنظيم أبناء الشيخ "الغزالي" الذين اغترفوا من علمه واهتدوا بأخلاقه وسَمَّته، وهم اليوم يرفعون لواء تنوير الأفكار وتصحيح المفاهيم، فكانوا خير خلف لأعظم سلف.

"الشيخ الغزالي كما عرفته — رحلة نصف قرن" وكتب على موقعه الإلكتروني شهادةً حيّةً بخصوص رفيق دربه الشيخ "الغزالي" رحم الله فقال⁽¹⁾: "في ذكره أشهد أني ما سمعتُ الغزالي إلا تأثرتُ به وتجاوبتُ معه، ولمستُ فيه طوال معاشتي له صدقاً وتجرّداً وحميةً للدين.."، ثم أضاف قائلاً: "عرفتُ في الشيخ الغزالي أنه رجل دعوة قبل كل شيء، الإسلام لحمته وسداه، وشُغل نهاره وحلم ليله، ومحورُ حياته كلها، عليه يعول وإليه يدعو ومنه يستمد"، كما كتب د.حسن فتحى ملكاوي⁽²⁾ "العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي" وأ.د مسعود فلوسي⁽³⁾ "الشيخ محمد الغزالي ومنهج التفسير الموضوعي في العصر الحديث".

وأكتفي بهذا القدر من العلماء الأجلاء الذين يعتبرون أنفسهم من أخلص تلاميذه رحمه الله، لأبدأ في بيان مؤلفاته.

3 — مؤلفاته⁽⁴⁾ :

لا شك أن من ألف فقد استهدف، وأن كل مؤلّف يدل على شخصية مؤلفه، ووجهة نظره وغزارة علمه، إذ إنه يعرض أفكاره على قرائه، والإمام "الغزالي" كانت له إسهاماته العلمية التي أسفرت عن عدة مؤلفات، وقد أسعفه في ذلك تضلعه من علوم الشريعة وفهمه لمقاصدها، وطول نفسه في البحث، مع مشاركة محترمة في بعض العلوم الكونية الموجودة في وقته وبيئته؛ فمن مصنفاته⁽⁵⁾:

- الاستعمار أحقاد وأطماع.
- الأسرة المسلمة وتحديات العصر.

⁽¹⁾ تراجع هذه الشهادة على موقع أ.د يوسف القرضاوي على شبكة الانترنت، وهي منشورة بتاريخ 09 مارس 2017م.

⁽²⁾ مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي الكائن مقره بعمان، المملكة الأردنية الهاشمية.

⁽³⁾ أستاذ الفقه وأصوله بكلية الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

⁽⁴⁾ انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بتجمة الشيخ "محمد الغزالي"، <https://ar.wikipedia.org/wiki>.

⁽⁵⁾ حاولت أن أرّتب عناوين مؤلفاته ترتيباً ألفبائياً من دون مراعاة تواريخ نشرها.

- الإسلام المفترى عليه.
- الإسلام والاستبداد السياسي.
- الإسلام والأوضاع الاقتصادية.
- الإسلام والطاقات المعطلة.
- الإسلام والمناهج الاشتراكية.
- تأملات في الدين والحياة.
- التحذير من دعاة التنصير.
- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل.
- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام.
- جدد حياتك.
- حصاد الغرور.
- الحق المر.
- حقيقة القومية العربية.
- خلق المسلم.
- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين.
- الدعوة الإسلامية.
- الرضاعة الثقافية للطفل المسلم.
- سر تأخر العرب والمسلمين.
- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث.
- صيحة.
- الطريق من هنا.

- ظلام من الغرب.
- عقيدة المسلم.
- الفساد السياسي.
- فقه السيرة.
- فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء.
- في موكب الدعوة.
- قذائف الحق
- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة و الوافدة.
- كفاح دين.
- كيف تفهم الإسلام.
- كيف نتعامل مع القرآن.
- المحاور الخمسة للقرآن الكريم.
- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية.
- المرأة في الإسلام.
- مع الله.
- معركة المصحف.
- من هنا نعلم.
- نظرات في القرآن.
- هموم داعية.

وقد بلغت مؤلفات "الغزالي" أكثر من خمسين كتاباً، كما تُرجم الكثير من مصنفاته إلى العديد من اللغات: كالإنجليزية والفرنسية والتركية والفارسية والأوردية والاندونيسية وغيرها،

ومعظم الذين قاموا بهذه الترجمات هم من تلاميذ الشيخ "الغزالي" ومحبيه الذين نهلوا من علمه واستفادوا من فيض عطائه.

إلى جانب التأليف هناك الكثير من الأعمال والنشاطات الهامة التي أغنى بها الشيخ "الغزالي" رحمه الله الساحة العلمية مثل مساهماته في الملتقيات والمؤتمرات الدولية، إلى جانب اللقاءات والحصص الإذاعية والتلفزيونية التي كان لها تأثير قوي على الأمة الإسلامية كلها.

ونال الشيخ "محمد الغزالي" العديد من الجوائز والتكريم الذي كان أهلاً له؛ ومن أهم الجوائز التي حصل عليها: جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم الإسلامية بالرياض في المملكة العربية السعودية سنة 1989م.

ثالثاً: مرتكزات النهوض الحضاري في فكر الشيخ "الغزالي":

لقد كان الداعية المجدد "محمد الغزالي" صاحب رسالة دعوية وإصلاحية ملكت حياته ووجهت خطواته؛ فوقف بين الدعاة علماء، وبين المصلحين طوداً شامخاً، وبين مفكري وكتّاب النهضة قلماً وسيفاً مسلطاً على أسباب التخلف، حتى لُقّب بـ "أديب الدعوة"، إذ عاش للإسلام ونذر حياته لخدمته، وسخر قلمه وفكره في بيان مقاصده، وجلاء أهدافه، وشرح مبادئه، فجاء "مشروعه الفكري لبنة عامرة بالحياة نابضة بالحياة، تبشر بحركة جديدة وبأنساق فاعلة وواعدة وأنماط أخرى محتملة لمستقبل الفكر الإسلامي، تكون قائمة على قواعد منهجية صلبة ومنفتحة على المعرفة، وعلى عطاءات العقل الإنساني والخبرة الإنسانية والفطرة الصحيحة"⁽¹⁾؛ وعليه فإن أهم مرتكزات النهوض الحضاري بنظر الشيخ "الغزالي" تعتمد على ما يلي:

أ — العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية منهجاً للفهم والتعامل:

(1) د. إبراهيم نوري، مرور قرن على ميلاد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، موقع جريدة الحوار،

<http://elhiwardz.com>

حفلت أعمال الشيخ محمد الغزالي بالسعي الحثيث لتصوير حال الأمة، حيث سبر أوضاعها ووقف على أسباب تخلفها، بل كان هذا الواقع أشد ما يؤلمه في حياته وعاش على أمل تغييره، ولم يكن يرى أسبابه من خارج الأمة فحسب، بل كان تشخيصه منطلقاً من واقع الأمة ومما كسبت أيدي المسلمين جرأً تعاملهم غير السليم مع القرآن الكريم، تعاملًا يتطلّب الكثير من العمل والجرأة في الاعتراف بهذا الواقع، والإيمان بوجود تغييره، فهو يقول رحمه الله: "... ففي تعاليم الإسلام وفاءً بحاجات الأمة كلها وضمناً مطمئناً لما تشتهى وفوق ما تشتهى من حريات وحقوق، وإنما بطشنت مخالِبُ الاستبداد ببلادنا وصَبَغَ وجوهنا بالسواد لأن الإسلام خولفَ عن تَعَمُّدٍ وإصرارٍ وطُرِحَتْ أرضاً البديهيّاتُ الأولى من تعاليمه..."⁽¹⁾، وأكد في موضعٍ آخر على أن الاستبداد السياسي هو: " وراء انهيار الأمة وضياعها دنيا ودين"⁽²⁾.

ولذلك كانت معظم آراء الشيخ الغزالي في إصلاح الوضع ترتكز على العودة المخلصة الجادة إلى القرآن الكريم في طرق التدريس والتعليم، وفي منهج الفهم، وفي التعامل بمعناه الواسع، حتى يعود القرآن مركز الدائرة في ثقافة المسلم المعاصر، ومحور تفكيره ومنهج حياته

لقد كانت معركة الشيخ محمد الغزالي مع الجمود والحرفية النصوصية التي تغضّ من شأن ملكة العقل فتقلّ عزم المسلمين في مواجهة التحديات المعاصرة وتكرّس التخلف الموروث، وقد أَلَفَ في هذا المضمار: "دستور الوحدة الثقافية" و"السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"، ومما قاله رحمه الله: "لقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمي هم القادة الموثقين للأمة، الذين أسلمت لهم زمامها عن رضا وطمأنينة، وقنع أهل الحديث بما يتناقلون من آثار.. فلا فقه بغير سنة ولا سنة بغير فقه، والواقع أن كلا الفريقين يحتاج إلى الآخر"⁽³⁾..

(1) محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، دط، دار الكتاب العربي، القاهرة، دت، ص45، 46.

(2) محمد الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، دط، دار كاتب للنشر، القاهرة، 1984م، 329/2.

(3) محمد الغزالي، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1409هـ/1989م، ص24، 25.

وقد أثارَت منهجية الشَّيخ محمَّد الغزالي في دفاعاته التي تستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلى جانب اجتهاداته الخاصة، بحكم الإيقاع السريع، جدلاً بين العلماء والمفكرين.

ب — التكامل المعرفي بين العلوم:

أكد الشيخ " الغزالي " في معظم مؤلفاته على ضرورة تكامل الرؤية المعرفية في تصور عناصر بناء النهوض الحضاري، وقد صرَّح بتبنيه له ذا الانتماء الفكري و فصل أهم خصائصه وقسماته حينما قال : "المدرسة التي أعتبر نفسي رائدا فيها أو ممهدا لها تقوم على الاستفادة النامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي، كما ترى الاستفادة من كشاف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسية والاقتصاد والتاريخ، ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسنة .. إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذي ينبغي تقريره لا يتم إلا مع رحابة الأفق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة والحديثة على السواء"⁽¹⁾.

ج — الواقعية في معالجة مشاكل الأمة:

لا يخفى على كل باحث أن الواقعية لها دلالتها العميقة في مشروع " الغزالي " الفكري، وأنها تنطبق على الخطوط العريضة والمحاور الرئيسة في محاولته معالجة مشاكل الأمة ، فقد عرف الفكر الإسلامي المعاصر على يد الشيخ الغزالي دفعا قويا انتقل به من مواقع النخبة إلى اهتمامات معظم المستويات في الأمة، وتجاوز بحلفيته النقدية الواعية المستوعبة مرحلة الأوهام والشعارات والحلول الجاهزة في الخيال، إلى أفق آخر أساسه الأول المعيشة الواقعية لمشكلات الأمة المختلفة، ومواجهة التحديات الكثيرة والمتناقضة التي ما فتئت تحول دون تحقيق الانعتاق

⁽¹⁾ حوار مع الشيخ محمد الغزالي، ط 1، إعداد دار المختار الإسلامي، القاهرة، 1996م، ص 58، نقلا عن: د. إبراهيم نويري، مرور قرن على ميلاد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، موقع جريدة الحوار، مرجع سابق.

الكامل وتجسيد طموحات وأهداف الأمة الإسلامية في الواقع القائم في دنيا الناس فعلاً لا وهمًا وحقيقة لا خيالاً⁽¹⁾.

د — الإصلاح الاجتماعي القائم على استثمار العنصر البشري:

تتحور الخطوط العريضة لمشروع "الغزالي" الفكري الرائد حول الإصلاح الاجتماعي الذي رأى أنه القاطرة الدافعة لأيّ إصلاح مأمول، عن طريق استثمار العنصر البشري رجالاً ونساءً، من دون تفضيل جنس على حساب الآخر، وأن أهم آليات الوصول لهذا الإصلاح بنظره هي الاهتمام بقضايا المرأة المسلمة التي أثبتت حول مكانتها في المجتمع الكثير من الشبهات، على الرغم من أن أعظم تكريم طالها كان في كنف الإسلام.

وبناءً على ذلك فإن الشيخ "الغزالي" يرى ضرورة الاستثمار في الإنسان بما خلقه الله عليه من رجاحة في العقل وقوة في الجسد، وأن هذا الاختلاف ليعنصر البشري يكون إعماراً للأرض وفق منحى قوامه ركيزتان:

أ — المساواة في التكليف والاختلاف في المهام المنوطة بالرجل والمرأة:

فالشيخ الغزالي يرى "أن الرجل والمرأة متساويان في التكليف، وأن الاختلاف بينهما راجع إلى خصوصية الخلق، ولذلك حظ الله عن المرأة بعض التكليف التي تستعصي عليها كي تؤدي وظيفتها في الحياة على أكمل وجه، فالمرأة والرجل سواء في المقام، غير أنهما يختلفان في المهام، ولقد خص الله الرجل بمهام لا تستطيعها المرأة، مثلما خص المرأة ببعض المهام التي لا يستطيعها الرجل، حتى في الشهادة، فالمرأة تشهد نصف شهادة الرجل في الأمور العادية، لكن تقبل شهادتها منفردة في المسائل التي تخص النساء، ولا تقبل فيها شهادة الرجل"⁽²⁾، وعلى كل حال فالجنس

(1) د. إبراهيم نويري، مرور قرن على ميلاد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، موقع جريدة الحوار، مرجع سابق.

(2) منقول عن حلقة بعنوان: "المرأة في فكر الشيخ محمد الغزالي" من برنامج "لوجه الله" مع فضيلة الشيخ سلامة عبد القوي على قناة الشرق الفضائية في 5 أبريل 2016م، عن فضيلة الشيخ المجدد محمد الغزالي في ذكراه العشرين، وقد استضافت هذه الحلقة د. وصفي عاشور أبو زيد، وهي الحلقة الثانية والأخيرة بعد الحلقة الأولى التي أذيعت في اليوم السابق.

الإنساني في جملته رجلاً أو امرأة "جدير بالحياة والتكريم، وأن زيغ أفراد وجماعات منه لا يسلب أبناء آدم المكانة التي منحهم الله إياها"⁽¹⁾، من باب المشاركة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل، وقياماً بفريضة الاستخلاف وعمارة الأرض.

ب — محورية الاهتمام بقضايا المرأة:

لقد عاش الشيخ محمد الغزالي قلباً يتحرق وعاطفة تتحرك للإسلام، وكان جهاده بالقلم واللسان في معالجة "قضايا المرأة" عملاً خالصاً أثمر تجديداً لحياة المرأة المسلمة، وأنصف الإسلام من غلوّ الغالين، وانتحال المنتحلين، وباطل المبطلين. وأعاد الثقة للمرأة المسلمة في دينها ونفسها. فهو يخاطب المرأة المسلمة حيث وُجِدَتْ فوق هذه المعمورة لا من موقع إقليمي وعربي، موضّحاً أن مصاب الإسلام في المتحدثين عنه لا في الأحاديث نفسها، ففي قضايا المرأة أحاديث موضوعية صحّحها الغرض وأحاديث صحيحة حُرِّفت عن موضوعها. وكان الشيخ محارباً على جهتي الإفراط والتفريط قائلاً: "إننا لا نريد أن ننقل المرأة من عصر الحريم إلى عصر الحرام"، وتناول قضايا المرأة على اختلاف جوانبها؛ إذ كان يرى أن تقهقر الأمة الإسلامية في العصور الأخيرة يعود إلى العجز الشائن في فهم موقف الإسلام الصحيح عن المرأة. حيث تطرّق لقضية النقاب، وصوت المرأة حيث يرى أنه ليس بعورة، وتحدث عن تفوّقها العلمي ودورها في مؤسسة المسجد، وتكلّم في موضوع الاختلاط وضوابطه في الإسلام، وفي إعادة التفكير في أحوال المسلمين في العالم المعاصر، وكانت قضية النهوض بالمرأة المسلمة شغلاً شاغلاً له طيلة جهاده المبارك، فكان يراها "جزءاً حياً من مجتمع حيّ، فهي تتعلم وتتعبد وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجاهد - إذا شاءت - في البر والبحر، وتتخذ منها البيعة على معاهد الإيمان والأخلاق، وتعارض الحكم أو تؤيده"، وعليه فهو يرى أن المشكلة التي تواجه المرأة المسلمة تتمثل - كما يقول - في "تقاليد وضعها الناس، ولم يضعها رب الناس، دحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة، واستبقت في معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى، وأبت أعمال التعاليم الإسلامية الجديدة،

(1) محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ط1، المكتبة التجارية، القاهرة، 1963م، ص13.

فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية وميزان الأمة كلها، مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها"، وهي الفكرة السائدة التي عمر بها صفحات كتابه الذي نلمح فيه وسطية فكر الشيخ محمد الغزالي، وهو الموسوم: "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة و الوافدة".

وقد كان للغزو الغربي دور كبير في تكريس الوأد الفكري الذي مورس على المرأة، إذ تمكّن لنفسه بيننا إلى أبعد الحدود كما يقول الغزالي: "منذ حوّل هزيمتنا العسكرية إلى كفران مطلق بما لدينا وإيمان مطلق بما لديه" ⁽¹⁾ وذلك من أجل إضعاف الشخصية الإسلامية، كما عملت القوى المعادية أيضاً على إبعاد الناشئة عن منابع الثقافة الذاتية؛ حيث يقول رحمه الله: "والغزو الثقافي في الغارة التي شنتها أوربا على بلاد الإسلام يقوم فيما يقوم على تجهيل المسلمين في دينهم وشحن أذهانهم بمعارف محدودة ثم ترك أفئدتهم هواء" ⁽²⁾.

الخاتمة:

خلاصة القول من خلال ما تم استقراؤه من أخبار نستنتج ما يلي:

- 1 –** اتساع الأفق عند الشيخ "الغزالي"، وحسن أخلاقه وورعه، مع تزيّنه بخلق التواضع الذي رفعه إلى درجة العلماء البارزين الذين نالوا إعجاب الناس وتقديرهم.
- 2 –** لقد كانت قضية الشيخ "الغزالي" الجوهرية في مشروعه الفكري هي التركيز على بيان مقومات النهوض الحضاري الذي يحقق درجة الخيرية في قيادة الأمم، من أجل تجاوز المعوقات الموروثة وإعادة تأسيس الأنساق الفكرية وترقية المعرفة الإسلامية كي تصبح قادرة على إنشاء البدائل في شتى الحقول التي تحتاجها الإنسانية.

⁽¹⁾ محمد الغزالي، من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، دط، دار الشهاب، الجزائر، دت، ص62.

⁽²⁾ محمد الغزالي، من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، ص160.

3 – عالج الشيخ "الغزالي" في مشروعه الفكري كيفية إعادة صياغة الشخصية المسلمة المتوازنة والمتكاملة القادرة على تخطي عوامل تراجع المسلمين حضاريًا، عن طريق تركيزه على بعث وإحياء عوامل وحدثهم ورأب الصدع بينهم، ونبذ الخلافات المذهبية التي تشتت صفّهم.

4 – إن سبب التخلف الذي يتخبط فيه المسلمون اليوم لا يرجع إلى أزمةٍ في العقيدة أو القيم أو المبادئ، ولذلك ركّز "الغزالي" على فكرة التكامل المعرفي بين العلوم من أجل تجديد أساليب أداء العقل المسلم، واستكمال الأدوات المنهجية الضرورية لبلورة مرجعيته القائمة على مبدأ شمولية الإسلام وعالمية الرسالة.

إن هذه الصورة المشرقة له ولأمثاله من العلماء المجتهدين تمثل مدرسة رائدة مميزة في الفكر الإسلامي المعاصر، وهي مثال يجب أن يُقتدى به من طرف النخبة المفكّرة الواعية التي تسعى إلى بناء الرؤية السليمة لمنهج النظر والاستنباط والتفكير الإسلامي المتوازن.

التوصيات:

هذا وإني أوصي في نهاية هذا البحث بما يلي:

1 – إعادة قراءة المشروع الفكري للشيخ "محمد الغزالي" من أجل استثماره والإفادة من معطيات زحمه في حل مشكلات الإنسان المسلم المعاصر، بما يتلاءم مع واقع حياة المجتمعات الإنسانية بصفة عامة.

2 – ينبغي أن تتبنى الجهود اللاحقة هذا المشروع، عن طريق تطوير مفرداته في الإصلاح الفكري والتغيير الاجتماعي والتأسيس الحضاري على ضوء إفرازات ومستجدات تدافع الوقائع والظروف والأحداث، حتى يسترجع العقل المسلم المعاصر عافيته النهائية ويستردّ دوره التاريخي والإنساني في الشهود الحضاري، ويستأنف مسيرته المبدعة الخلافة في نفع الإنسانية بعبءات رسالة الاستخلاف الصحيح، وفيوضات الخير الحقّ، والرحمة الصحيحة المنبثقة من منهج الله القويم.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب والمجلات العلمية:

- 1 – حوار مع الشيخ محمد الغزالي، ط1، إعداد دار المختار الإسلامي، القاهرة، 1996م.
- 2 – عد الحلیم عویس، حياة مجاهد عظیم، ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالي حياة وآثار، دط ، دار الأمة، الجزائر.
❖ كتب الشيخ "محمد الغزالي":
- 3 – الإسلام والاستبداد السياسي، دط، دار الكتاب العربي، القاهرة، دت.
- 4 – حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ط 1، المكتبة التجارية، القاهرة، 1963م.
- 5 – السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1409هـ/ 1989م.
- 6 – قصة حياة، مجلة إسلامية المعرفة، ماليزيا، عدد 07، السنة الثانية، يناير 1997م.
- 7 – مائة سؤال عن الإسلام، دط، دار كاتب للنشر، القاهرة، 1984م.
- 8 – من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، دط، دار الشهاب، الجزائر، دت.

المواقع الالكترونية:

- 9 – د. إبراهيم نويري، مرور قرن على ميلاد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، موقع جريدة الحوار، <http://elhiwardz.com>.
- 10 – شبكة الشفاء الإسلامية، سيرة حياة الإمام الشيخ "محمد الغزالي" رحمه الله، <http://www.ashefaa.com>.
- 11 – موقع قناة الجزيرة، محمد الغزالي.. عالم مجدد ناهض الاستبداد والجهل ، <http://www.aljazeera.net>.

12 – موقع أ.د يوسف القرضاوي على شبكة الانترنت.

13 – موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ترجمة الشيخ "محمد الغزالي"،

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

المحصص التلفزيونية:

14 – "المرأة في فكر الشيخ محمد الغزالي"، الحلقة الثانية من برنامج "الوجه الله" مع فضيلة الشيخ

سلامة عبد القوي، قناة الشرق الفضائية، 5 أبريل 2016م.